التصوير فى الكتب

يكثر هذا النوع فى الكتب الفارسية ، ولكنه لم يكن مجهولا عند العرب ، ولا خلت منه كتبهم ، وإن قل ما بالأيدى منها . وفى ديار الإفرنج طائفة صالحة منها مذكورة فى إثبات خزائنهم ، فلنقتصر هنا على وصف موجز لما شاهدناه أو اطلعنا على وصفه فى بعض الكتب .

فمن الكتب المصورة كتب التجويد صوَّروا فيها الحلق والفم واللسان لبيان مخارج الحروف ، والغالب ألا يتجاوزوا ذلك فيها . وقد يصورون فى بعضها الوجه جميعه ولكن على قلة . وعندنا شرح للشافعية الحاجبية فى الصرف للحسن بن إبراهيم النيسابورى المعروف بنظام ، فى أواخره صورة الحلق واللسان والشفتين لبيان مخارج الحروف .

ومنها كتب الطب كمجموع فى العين عندنا ، كتب سنة ٥٩٢ من محتوياته «تذكرة الكحَّالين» لعلى بن عيسى الموصلى ، بها دوائر ورسوم للعين ، وكتاب فى علل العيون وعلاجها لحنين بن إسحاق ، به صور للعين ملوَّنة ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية الأستاذ ماير هوف الكحَّال الشهير (١٥٦) ، ونقل بعض صوره بالتصوير الشمسى ، وطبع نبذة منه بتلك اللغة . وعندنا خمسة كتب طبية أخرى مصوَّرة « كالمنجز » للأمشاطىّ ، شرح الموجز لابن النفيس به صورة خروج الشعاع من العين ، ورسوم أخرى بعضها خيالى كشجرة القوى الحيوانية . وكـكتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» المشهور بالزهراوىّ ، لخلف بن عباس الأندلسى الزهراوى المتوفى سنة ٥٠٠ وبه صور كثيرة لآلات الجراحات ، وقد طبع بالهند على الحجر ، وأثبتت به الصور كما هى . ويلتحق بهذا الصنف « كتاب سحر العيون للبدرىّ فى الأدب» ، ففيه صورة العين بأجزائها ، وقد طبع بمصر على الحجر سنة ١٢٧٦ هـ .

وفى «فوات الوفَيات» لابن شاكر فى ترجمة نصير الدين الطوسىّ أنه دخل مرَّة على هولاكو ومعه كتاب مصور فى عمل الدرياق الفاروقىّ فقرأه عليه ، وعظمه عنده ، وذكر

منافعه ، وقال : إن كمال منفعته أن تسحق مفرداته فى هاون من ذهب ، فأمر له بثلاثه آلاف دينار لعمل الهاون ، ولم يفصح ابن شاكر إن كان هذا الكتاب من تأليف الطوسى أم لغيره .

وفى خزانة مدرسة خليل أغا بالقاهرة كتاب مخطوط فى البيطرة ملوّن الصور[١٥٧] ، اطلعنا عليه ، وهو قديم الخط .

وفى خزانتنا نسختان من « كامل الصناعتين » المعروف بالناصرى فى البيطرة والزرطقة* لأبى بكر بن بدر البيطار فى إصطبل الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو كتاب مصور بالألوان لبيان ألوان الخيل ، غير أن الناسخ ترك بياضاً فى مواضع صور الأفراس ، ولم يصور أيضاً أنواع النعال ، بل اقتصر على صور السمات والكيّات . و إحدى النسختين قديمة الخط ربما ترتقى إلى عصر المؤلف ، وقد ترجم الأستاذ پرّون Perròn هذا الكتاب إلى الفرنسية ، وطبع بباريس سنة ١٨٥٢ — ١٨٦٠ م . فى ثلاثة أجزاء ولم يُرسم به إلا صور السمات والكيات[١٥٨] ، والظاهر أن النسخة التى ترجم عنها كانت كنسختينا خالية من صور الأفراس .

ومنها كتب النبات كترجمة كتاب الحشائش لديسقوريدس المحفوظ بخزانة أيا صوفية بالقسطنطينية ، وهو من أهم كتب هذا النوع الموجودة الآن بالأيدى† [١٥٩] .

ووقفنا فى خزانة المجلس البلدى بالإسكندرية على جزء من «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمرى ، وهو خاص بالنبات ، وبه صور ملونة لأنواعه ، وكتب بأوله أنه الجزء الثانى عشر .

وفى «عيون الأنباء» لابن أبى أصيبعة وصف لكتاب فى الأدوية المفردة لرشيد الدين ابن الصورى قال فيه : « بدأ بعمله فى أيام الملك المعظم ، وجعله باسمه ، واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها ومنافعها ولم يذكرها المتقدمون .

(*) قال صاحب « كشف الظنون » فى كلامه على هذا الكتاب : « البيطرة هى النظر فى أحوال الخيل من جهة الصحة والمرض ، والزرطقة هى عبارة عن تربية الخيل فى تعليمها ولوازمها » .

(†) فى دار الكتب المصرية نسخة شمسية منه ، منقولة من نسخة القسطنطينية ، وفى خزانتنا أخرى مثلها .

وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ، وكان يتوجه رشيد الدين بن الصورى إلى المواضع التى بها النبات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التى قد اختص كل منها بشىء من النبات ، فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور ، فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويجتهد فى محاكاتها . ثم إنه سلك أيضاً فى تصوير النبات مسلكا مفيدا ، وذلك أنه كان يرى النبات للمصوّر فى إبّان نباته وطراوته فيصوّره ، ثم يريه إياه أيضاً وقت كماله وظهوره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه إياه أيضا وقت زواه* ويبسه ، فيصوره ، فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر إليه فى الكتاب وهو على أنحاء ما يمكن أن يراه به فى الأرض فيكون تحقيقه له أتم ومعرفته له أبين »[١٦٠] انتهى . وقد فقد هذا الكتاب الآن .

ومنها كتب الأدب ، كنسخة من «المقامات الحريرية» بديعة التصوير محفوظة بخزانة باريس[١٦١] . وكنت رأيت نسخة أخرى منها ملونة الصور عند أحمد باشا الضّيّ من سراة مصر ، ولا أدرى ما فعل الدهر بها بعد وفاته .

ولما ترجم ابن المقفع كتاب « كليلة ودمنة » جعله مصوّراً بدليل قوله فى باب عرض الكتاب ، وذكر أغراضه الأربعة : « والثانى إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ؛ ليكون أنساً لقلوب الملوك ، ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة فى تلك الصور » . إلا أن هذه الصور أهملت فى أغلب نسخه المخطوطة والمطبوعة . وقد طبعت منه نسخة مصورة فى بيروت ، قال طابعها إنه حافظ على أشكال صورها القديمة التى بالأصل ، وطبعت أخرى من نوعها فى مصر سنة ١٣٤٤[١٦٢] . ومنها كتاب «مرزبان نامه» لابن عرب شاه ، وقد طبعت منه نسخة مصورة بمصر سنة ١٢٧٨ على الحجر ، إلا أنها سقيمة الصور .

ومنها «المقامات الجلالية الصفدية» لحسن بن أبى محمد عبد الله العباسى من أدباء القرن السابع ، وهى ثلاثون مقامة ، فى المقامة التاسعة عشرة منها صور لأصناف من الطير كالإوز

(*) الصواب زُوِيّه بضم فكسر مع تشديد الياء .

والتمّ والكىّ واللغلغ والحبرج وغيرها ، وهى التى كانت تصاد عادة وتسمى بطيور الواجب . وفى خزانتنا نسخة منها متقنة الصور غير أنها غير ملونة[١٦٤] .

وكنت رأيت بالخزانة الزكية بالقاهرة نسخة جيدة محلاة بالذهب والألوان من كتاب «التحف والطرف» لمؤلف مجهول جميع فيه قصائد وموشحات رسمها على صور الحيوان والشجروقال فى مقدمته : «مع ما صنعته فيه من صورة كل صنف من الوحش والطير الذى يقرأ من كل عضو منه شعر يأتى على معنى إرادتى فيه » ، ولكن ناسخ النسخة تورع عن تصوير ذى الروح ، فأضاع بذلك ما قصده المؤلف ، وكتب بحاشية الكتاب ما نصه : « وقد حذفنا من هذا الكتاب تصوير الوحش والطيور المشار إليها فيه ؛ لما فيها من الحرمة » ، وتاريخ كتابة هذه النسخة سنة ٨٦٢ .

وذكر ابن طولون الصالحى فى ترجمة عبد اللطيف بن عبد الله بن أحمد المكى الشافعى ، من كتاب «ذخائر القصر فى تراجم نبلاء العصر» ، أنه رأى عنده كتباً مصورة منها «طيف الخيال» لابن دانيال . و«كتاب الديارات» لأبى الحسن الشابشتى ذكر فيه كل دير بالعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وما قيل فيها من الشعر ، وكتاب «كليلة ودمنة» و«مقامات الحريرى» ، وقد صورت لبعض الخلفاء ، و«كتاب العرس والعرائس» للجاحظ .

ومنها كتب البلدان «كمعجم ياقوت» و«تقويم أبى الفداء» و«نخبة الدهر» لشيخ الربوة ، وفيه صور كثيرة من بلدان وآلات وأسماك وصور فلكية ، وغير ذلك . و«كتاب الأقاليم» للإصطخرى وبه مصوّرات للبلدان ملونة ، «وتحفة الألباب» لأبى حامد الأندلسى الغرناطى وبه صورة الهرم ومنار الإسكندرية وغيرهما ، وكلها مطبوعة بأوربة . وعندنا كتاب مختصر فى البلدان مخطوط منسوب لأبى العباس أحمد بن أبى أحمد الفقيه من طبرستان ، به أربع صور وهى بنات نعش الكبرى والصغرى والحرم المكى والكعبة المعظمة وصورة الأقاليم وصورة مدينة رومية وأسوارها . ولكن الناسخ لم يصور بعضها[١٦٥] . و«نزهة المشتاق» للشريف الإدريسى وبه مصورات كثيرة . و«نيل الرائد فى النيل الزائد» للبلقينى وفيه صورة منبع النيل وبحيراته منقولة من تصوير عزالدين بن جماعة . و«كوكب الروضة» للسيوطى فى تاريخ جزيرة الروضة بمصر وفيه صور منبع النيل ومجراه ، وقد صورها

المؤلف أيضاً فى كتابه «حسن المحاضرة» . و«تاريخ الحجاز ومعالمه» وفيه صورة الحرم المكى والكعبة ، ولا يذهب عن الذهن تصوير الحرمين فى « دلائل الخيرات» وما امتازت به بعض نسخها من الإتقان فى الزخرفة والتذهيب ، وقد اطلعنا على نسخ منها مشرقية ومغربية عربية الصناعة بالغة النهاية فى جودة التصوير والنقش . و « نزهة الأبصار فى ذكر الأقاليم وملوك الأمصار» لحسن بن أحمد الشهير بحاكم البقاع ، وعندنا منه النصف الأول به أربع صور ملونة مذهبة للكرة الأرضية والحرمين الشريفين والمسجد الأقصى(١٦٦) . ومصورات* البلخى المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة(١٦٧) .

وحكى المسعودى فى «التنبيه والإشراف» أنه اطلع على عدة مصورات فرأى أحسنها الصورة المأمونية التى عملت للمأمون ، واجتمع على صنعها عدة من الحكماء صوروا فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك(١٦٨) .

وفى «خطط» المقريزى ما يفيد أنهم صوروا الدنيا لهارون الرشيد ، فيقال إنه لم يستحسن إلا كورة سيوط من صعيد مصر لأنها ثلاثون ألف فدان فى استواء من الأرض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت فى جميعها(١٦٩) .

وقال فى موضع آخر من «الخطط» المذكورة فى الكلام على انتهاب خزائن الفرش والأمتعة الفاطمية : « وصار إلى نخر العرب مقطع من الحرير الأزرق التسترى القُرْقُوبى† غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير ، كان المعز لدين الله أمَر بعمله فى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة فيه صورة أقاليم الأرض ؛ وجبالها ، وبحارها ، وأنهارها ، ومدنها ومسالكها شبه جغرافية ، وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير ، وفى آخره : مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقاً إلى حرم الله وإشهاراً لمعالم رسول الله فى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار »(١٧٠) .

(*) المصوّر بصيغة اسم المفعول يرادف ما نسميه اليوم بالخارطة أو الخريطة ، وهو اللفظ الذى عبر به مؤرخو العرب ، ومنهم ابن خلدون .

(†) الثياب القرقوبيّة نسبة إلى قرقوب بلد من أعمال كَسْكَر .

وذكر ابن النديم فى « كتاب الفهرست» قرّة بن قميطا الحرّانىّ عمل صفة الدنيا وانتحلها ثابت بن قرّة ، قال : ورأيت هذه الصفة فى ثوب دَبِيقىّ خام بأصباغ ، وقد شمّعت الأصباغ (١٧١) .

وكتب البلدان المصورة كثيرة ، قلما ترى كتابا غير مصور ، وقد تنبهت — عند مطالعتى «أحسن التقاسيم» للمقدسىّ المطبوع بليدن — إلى أن الكتاب كان مصوراً كما يعلم من عدة مواضع فيه (ص ١١٣ ، ١٥٤ ، ٢١٦ ، ٢٤٨ ، ٣٦١ ، ٤٠٤ ، ٤٢١) ، وحسبنا قوله فى أوله : « ثم فصلنا كور كل إقليم ، ونصبنا أمصارها ، وذكرنا قصباتها ، ورتّبنا مدنها وأجنادها ، بعد ما مثلنا ورسمنا حدودها وخططها ، وحرّرنا طرقها المعروفة بالحُمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصُفرة ، وبحارها المالحة بالخُضرة ، وأنهارها المعروفة بالزُرقة ، وجبالها المشهورة بالغُبرة ليقرب الوصف إلى الأفهام ، ويقف عليه الخاص والعام » ومثله كتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» لابن فضل الله العُمَرى ، فإن قسم البلدان منه كان فى الأصل مصوراً لتصريحه بذلك فى مقدمته بقوله : « لأقرّب إلى الأفهام البعيدة غالب ما هى عليه أمّ كل مملكة من المصطلح والمعاملات ، وما يوجد فيها غالباً ليبصر أهل كل قطر القطر الآخر . وبيّنته بالتصوير ليُعرف كيف هو كأنه قدّام عيونهم بالمشاهدة والعيان » . ولكن النسخ التى اطلعنا عليها منه ليس بها صور سوى الجزء الذى تقدم لنا ذكره فى كتب النبات . ويلحق بذلك كتاب «عين الحياة فى علم استنباط المياه» للعلاّمة أحمد الدمنهورىّ ، وعندنا منه نسخة بها صورة الكرة الأرضية بأقاليمها السبعة ، وصورة مهاب الرياح ، وأُلحقت بالنسخة صفحة بها دائرة لمعرفة القبلة لكل البلاد الإسلامية ، ملونة بالأحبار ، متقنة الرسم (١٧٢) .

وذكر الجهشيارى فى « كتاب الوزراء والكتاب» أن أبا جعفر المنصور لما أمر باتخاذ ضيعة لولده صالح ، وهى المعروفة بالسبيطيّة من أعمال البصرة ، تقدم إلى بعض المهندسين بتصويرها له فصوّرها ، وعرض الصورة عليه فاستحسنها ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : إنى أجد فى فمى علة ، وقد أضرت بأسنانى ، وحاجتى أن يأذن أمير المؤمنين فى تقبيل يده ، فلعل الله أن يهب لى العافية . فقال له أبو جعفر : على أنّ ذاك إن أذنت لك فيه عوضٌ

من الجائزة ، فأما أن أجمعهما لك فلا ! ! فقال له : والله لو لم يبق فى فمى حاكّة ، وعلمت أن تقبيل يدك يردّ جميعها ما آثرته على الجائزة ، فضحك منه ووصله[١٧٣] . انتهى .

ومثله ما رواه ابن سعيد فى « المغرب » عن محمد بن طُغُجّ الإخشيد لما نقل الصناعة* من جزيرة مصر (الروضة) إلى ساحل الفسطاط ، وأراد أن ينشئ فى موضعها بالجزيرة بستانه الذى سماه المختار ، فإنه أمر أن يخطوه له ، ويقدروا نفقته ، قال : « فركب صالح ابن نافع وغيره ، وخطوا له بستانا ، وجعلوا فيه داراً للغلمان ، وداراً للنوبة ، وخزانة كسوة ، وخزانة طعام ، ولم يدعوا شيئاً إلا جعلوه فيه ، ثم صوروه فى رقعة وجاءوا به إليه فاستحسنه »[١٧٤] .

وفى هذين الخبرين دليل على أنهم كانوا يصورون الضياع والدور ونحوها بحدودها فى مصورات ، كما يفعل الآن ، ولكن إهمال المؤرخين ما يشبه هذا النوع من أعمالهم ، لتفاهته فى نظرهم ، أضاع علينا شيئاً كثيراً من أخبار مدنيتهم .

ومنها كتب الهيئة وما فيها من صور الكواكب وذوات الأذناب . وهى كثيرة ؛ عندنا منها عدة مخطوطات أغربها وأندرها كتاب « صور الكواكب » للصوفى من علماء القرن الرابع† ، صور فيه الثوابت ومواقعها من الفلك ، ثم صورها بأشكال ما سميت به من نسر ودب وتنين[١٧٥] الخ . وذكر القفطى أن للصوفى هذا كرة من فضة عملها لعضد الدولة اشتريت بثلاثة آلاف دينار لخزانة كتب القاهرة ، وكانت بها سنة ٤٣٥[١٧٦] . وعلى ذكرها نذكر من قبيلها الكرة الأرضية الفضية التى عملها الشريف الإدريسى لرجار†† ملك صقلية وكتب عليها بالحروف العربية . وكانت أصح كرة عملت فى ذلك

(*) الصناعة أو دار الصناعة المكان الذى تنشأ فيه السفن ، وقد اقتبس الترك اللفظين بعد تشويههما بالتحريف فقالوا (ترسانة) واقتبسهما الإفرنج أيضاً بتشويه آخر فقالوا (أرسنال) Arsenal .

(†) فى ص ٢٣٦ من الجزء الثانى عشر من Notices et Extraits المطبوع بباريس أنه توفى سنة ٣٧٦ عن ٨٥ سنة نقلا عن أبى الفرج .

(††) اسمه عند الإفرنج Roger ، وذكر ابن ميسر فى « أخبار مصر » أنه كان يحب مديح الشعراء ويجيزهم ، فذهب إليه جماعة ومدحوه منهم ابن قلاقس . وفى « الكامل » لابن الأثير أنه توفى سنة ٥٤٩ . وترجمه الصفدى فى « الوافى بالوفيات » فقال عن اسمه : « ويقال فيه إجّار بهمزة بدل الراى وجيم مشددة ، وبعد الألف راء » ، وذكر الكرة التى عملها له الإدريسى .

العصر على ما ذكروا ، وقد فقدت فيما فقد[١٧٧] .

وذكر العلامة الشيخ محمد بيرم التونسى فى رحلته « صفوة الاعتبار » أنه شاهد فى خزانة الكتب بدار الفنون التى بمدينة نابولى كرتين فلكية وأرضية ، قيل إنهما من عمل علماء الأندلس ، وهما فى غاية الإتقان ، وقد كتب عليهما بالخط العربى الثلثى الجميل[١٧٨] .

وذكر الملك المؤيد أبو الفداء فى « تاريخه » عن علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف المهندس* أنه عمل للمظفر صاحب حماة كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة ، وعملت هذه الكرة بحماة ، قال القاضى جمال الدين بن واصل : وساعدت الشيخ علم الدين على عملها . وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ، ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها[١٧٩] .

وفى « المنهل الصافى » فى ترجمة على بن إبراهيم أحد بنى الشاطر أنه رصد الكواكب وانفرد فى زيجه بمسائل ، ووضع آلة رصدية بديعة صور فيها الأفلاك والكواكب ، ولو شئنا استيعاب ما ذكروه من الآلات الفلكية المصوّرة لطال بنا المقال .

أضف إلى ذلك كتب الهندسة وما فيها من الرسوم التى تقتضيها من خطوط ودوائر ومثلثات الخ . . . وكتب الموسيقى وما فيها من دوائر النغم المحكمة الرسم والضبط ، أذكر منها دائرة فى « شرح الشيخ محمد العطار الدمشقى على منظومة الشيخ حسن العطار المصرى فى التشريح » ، أوردها بمناسبة زعمهم أن للشريان طبيعة موسيقية ، وهى غريبة فى وضعها مكونة من دائرتين ، إحداهما رسمت فى الكتاب ، والأخرى أصغر منها فى ورقة مثبتة فى وسط الأولى على محور تدور عليه .

ومنها كتب الحيل ، أى علم الآلات ؛ ككتاب « الحيل فى العلم والعمل » لابن الرزاز وبه صور كثيرة للساعات المائية والدواليب والآلات المنوعة . وكتاب « علم الساعات

(*) توفى بدمشق سنة ٦٤٩ ، وكان مولده بأصفون من صعيد مصر سنة ٥٧٤ ، كما فى « تاريخ أبى الفداء » .

والعمل بها » لرضوان بن محمد الخراسانى ، وبه صور الساعات المائية وأجزائها ، وما يتخذ فيها من التماثيل والدُّمى ، وكلاهما مخطوط بخزانتنا[١٨٠] . وعندنا أيضاً نسخة شمسية من « كتاب الحيل » لبنى موسى بن شاكر[١٨١] منقولة من نسخة رومة ، وهو كتاب مصور نادر ، كان يظن أنه فقد والظاهر أنه جزء منه ، لأن ما فيه خاص بعمل الأوانى . وكتاب « زهر البساتين فى علم المشّائين » فى علم الحيل والشعبذة لمحمد بن أبى بكر الزرغونى المصرى ، ذكره صاحب « كشف الظنون » وقال : إن الباب الأول منه فى الصور والتماثيل . وعندنا « كتاب القوانين فى صفة القبان »[١٨٢] ، به صور الموازين بأجزائها[١٨٣] .

ومنها كتب الفروسية وما فيها من تصوير الفرسان على الخيل وصفة الطعن والضرب وتوجد منها نسخ عند باعة العتيق . وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة كتاب « السؤل والأمنية فى تعليم أعمال الفروسية » مخطوط به صور كثيرة إلا أنه ناقص[١٨٤] . ورأيت كتاباً من قبيله عند أحد الوراقين فلم أوفق لاقتنائه . وفى دار الكتب أيضا « التذكرة الهروية » ، « والعز والمنافع فى الغزو بالمدافع »[١٨٥] ، فيهما صور آلات للقتال كثيرة . وعندنا « تحفة المجاهدين فى العمل بالميادين » للأمير لاجين الحسامى المعروف بالطرابلسى[١٨٦] ، وهو مختصر به رسوم الميادين والصفوف . وعندنا أيضا « شرح المقامة الصلاحية فى الخيل والبيطرة والفروسية » ، وهى قصيدة رائية من البسيط جاء فى مقدمتها أن ناظمها نظمها لصلاح الدين الأيوبى . والشرح أصله مصور كما يعلم من مواضع كثيرة منه إلا أن ناسخ النسخة ترك بياضاً فى موضع كل صورة ؛ إما عجزاً منه أو تورعاً[١٨٧] .

وفى ترجمة أبى الحسن على بن موسى المعروف بابن سعيد الأندلسى فى « نفح الطيب » نقول عن مصنفاته منها قوله : « ولما أجرى ابن سعيد فى بعض مصنَّفاته ذكر الملك العادل ابن أيُّوب قال ما نصّه : وكان من أعظم السلاطين دهاء وحزماً ، وكان يضرب به المثل فى إفساد القلوب على أعدائه وإصلاحها له . ويحكى أنَّه بشَّره شخص بأنَّ أميراً من أمراء الأفضل بن صلاح الدين فسد عليه ، فأعطاه مالا جزيلا ، وأرسل مستخفياً إلى المذكور يزيده بصيرة فى الانحراف عن الأفضل ، ويعده بما يفسد الصالح فكيف الفاسد . قال : وكان يمنع حتى يوصف بالبخل ، ويجود فى مواضع الجود حتى يوصف بالسماح . وكان

صلاح الدين ، وهو السلطان ، يأخذ برأيه . وقدم له أحد المصنفين كتاباً مصوراً فى مكايد الحروب ومنازلة المدن ، وهو حينئذ على عكا محاصراً للفرنج ، فقال له : ما نحتاج إلى هذا الكتاب ومعنا أخونا أبو بكر » انتهى[١٨٨] .

ومنها كتب الجفر والسحر والكيمياء . وقلّما يخلو كتاب منها من صورة ككتاب « عيون الحقائق » فى السحر والشعوذة ، وفيه رسوم كثيرة ملونة من حيوان وطير وحشرات وغيرها وهو عندنا[١٨٩] . و « بُغية الطالب » فى معرفة الضمير لأبى معشر الفلكىّ وعندنا منه نسخة مخطوطة ، بها صور كثيرة للكواكب والبروج ملونة متقنة التصوير[١٩٠] ، إلا أنّ النسخة حديثة الخط . وكتاب « الدرّ المنظّم المسمى بالجفر الصغير » لابن طلحة ، وبه صور كثيرة آدمية متقنة التلوين والرسم وهو عندنا أيضاً[١٩١] . و « كتاب ذات الدوائر والصور » فى دعوة الجن وتسخيرها . ذكره صاحب « كشف الظنون » فى حرف الذال ، وقال عنه إنه كتاب مصور . وعندنا « كتاب العلم المكتسب فى زرع الذهب » فى الكيمياء لأبى القاسم العراقىّ[١٩٢] ، وفيه رسوم ملونة لرموز هذا العلم من صور آدميين وطير بينها صورة شخص جالس مشتغل بالتصعيد وأمامه الإنبيق على النار ؛ غير أن النسخة حديثة الكتابة غير متقنة الصور* . وعندنا أيضاً كتاب « لوامع الأفكار المضيّة » للجلدكىّ[١٩٣] ، وهو شرح على مخمس أبى عبد الله محمد بن أميل فى الكيمياء ، وفيه صورة غير متقنة لتسعة عقبان منشورة الأجنحة ، كأنها طائرة ، وتحتها صور أناس يشيرون بأيديهم إلى صنم جالس . ذكر الشارح أن صاحب المخمس المذكور رآها فى إحدى البرابى بمصر ، وزعم أنها من رموز الكيمياء عند القدماء . وكم للمشتغلين بهذا الفن من مزاعم وتأويلات !! ورأيت حاشية على نسخة عندى من كشف الظنون بخط أحد من اقتناها ، يقول فيها فى حرف الكاف : « ورأيت كتاب الصور لزوسم القبطىّ مصوراً فيه علم الصنعة ، وتصاويره فى غاية الإتقان بالذهب ، وسائر الألوان ، وتاريخ نسخه وتصويره سنة ٧٢٢ » .

(*) طبع هذا الكتاب فى باريس سنة ١٩٢٣ م خالياً من الصور ومعه ترجمته إلى الإنكليزية . وذكره صاحب « كشف الظنون » باسم « المكتسب فى صناعة الذهب » ، ونقل عن شارحه الجلدكىّ أن مؤلفه أخفى اسمه ، وأنه رأى فى ظهر نسخة أنه لأبى القاسم العراقىّ . وقال فى حرف الكاف : كتاب الأقاليم السبعة للشيخ أبى القاسم محمد بن أحمد السياوىّ العراقىّ صاحب « كتاب المكتسب » .

هذا عدا الصور الخيالية كالتى فى « كتاب الميزان الكبرى » للشعرانى ، المطبوع بمصر[١٩٤] ، وهى صورة الأمثلة المحسوسة ، وصورة طرق مذاهب الأئمة للجنة ، وصورة قبابهم على نهر الحياة فى الجنة . وعندنا منه نسختان مخطوطتان ملونتا الصور[١٩٥] . وعندنا أيضاً نبذة فى هول يوم القيامة ، منقولة من « ذخيرة المحتاج »[١٩٦] ، مغربية الخط بها صورة خيالية لجهنم وأوديتها وهى بالحمرة والسواد . والخلاصة أن هذا النوع من الكتب ليس فى القلة على ما كان يظن[١٩٧] .